Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية

دور التراث المالكي الفقهي في تحقيق الوحدة بين اقليم ليبيا من القرن 16م 7-10- هـ

د. الصديق بريك محمد يوسف

استاذ وباحث في قسم التاريخ كلية التربيه،جامعة درنه، فرع القبه،ليبيا
استاذ وباحث في قسم التاريخ كلية التربيه،جامعة بنغازي،ليبيا
Seddqalsharfy@gmail.com

استلام البحث:02-04-2023 مراجعة البحث :08-07-2023 قبول البحث :10-07-2023

ملخص

لعلماء المذهب المالكي في الأمة الليبية دور اجتماعي بارز عبر العصور منذ دخل المذهب المالكي إلى ليبيا، وفي هذا البحث اليسير أبين متى دخل المذهب المالكي إلى ليبيا، وعلى يد من العلماء والفقهاء، ودورهم في الحياة الاجتماعية، وموقفهم من الأعراف والعادات هل أثر ذلك في فقههم أم أثروا هم في العادات والتقاليد والعرف، ودورهم وموقفهم من البدع، من خلال الإرث المالكي.

الكلمات المفتاحية: المذهب المالكي – العادات والتقاليد والعرف – رجال المذهب المالكي – الحياة الاجتماعية في المغرب العربي (ليبيا).

Abstract:

The scholars of the Maliki school of thought in the Libyan nation have a prominent social role throughout the ages since the entry of the Maliki school of thought into Libya, and in this easy research I show when the Maliki school of thought entered Libya, and at the hands of scholars and jurists, and their role in social life, and their position on norms and customs. Did that affect their jurisprudence, or did they affect customs, traditions, and custom, and their role and position on innovations, through the Maliki legacy? And among the most famous men of the Maliki school of thought who contributed to the service of the school throughout the ages, in addition to the efforts of Al-Wansharisi, the author of the book Al-Ma'ir.

Keywords: The Maliki School - Customs, Traditions and Customs - The Men of the Maliki School - Social Life in the Arab Maghreb (Libya).

مـــقدّمـــــة:

ومن أشهر رجال المذهب المالكي الذين ساهموا في خدمة المذهب على مر العصور بالإضافة إلى جهود الونشريسي صاحب كتاب المعيار أضف على ذك جهود علي بن زياد الطرابلسي وعبد الحميد ابن أبي الدنيا الطرابلسي وهناك علماء آخرون منهم على سبيل المثال لا الحصر:الشيخ أبو جعفر أحمد بن نصر الداوودي الطرابلسي الذي عاش في طرابلس ووضع فيها كتابه "النامي في شرح الموطأ" المتوفى بالجزائر سنة 402هـ.الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد التاجوري، العالم الفلكي الشهير له مؤلفات كثيرة في هذا المجال، وقصته مع قبلة جامع القرويين بفاس مشهورة، توفى عام 960هـ.

الشيخ أحمد بن محمد المكني مفتي طرابلس المتوفى عام 1100هـ.

العالم الجليل الشيخ محمد بن محمد بن مقيل مفتي طرابلس تميز بفتاواه الجيدة واجتهاداته في الفقه من خلالها المتوفى عام 1101هـ.

الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري له عدة مؤلفات من أشهرها، تذييل المعيار "وهو كتاب في الفتاوى يقع في ستة مجلدات توفى عام 1139هـ.

وسأبين كيف أثر المذهب المالكي في الحياة الاجتماعية في الأقاليم الليبية الثلاثة (طرابلس برقة فزان)، وكذلك كيف أثرت العادات والتقاليد في منهجية المذهب المالكي، وكيف كانت المواثيق الاجتماعية من طلاق وخلع ونكاح ونحوها وسأبين هل كانت فتاوي فقهاء المالكية في الأقاليم الثلاثة متقاربة أو مختلفة من إقليم لآخر، ثم أذكر ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات.

نقسم البحث إلى المباحث التالية: المبحث الأول: الجذور التاريخية لمذهب المالكي في ليبيا. نعرض فيه أسباب اختيار المغرب العربي (ليبيا) للمذهب المالكي. وسائل المذهب المالكي وتراثه لتحقيق الوحدة والتواصل بين الإقاليم. والمبحث الثاني:: دور الفقهاء في الحياة الاجتماعية وفيه نتناول. (المهر، التجهيز، الولي، والمشاكل الزوجية، الطلاق، الخلع، وقضايا الشرف وكذلك دورهم مع أهل الذمة ودورهم في محاربة مظاهر الفساد والانحلال في المجتمع.

الجذور التاريخية لمذهب المالكي في ليبيا.

أول من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس هو زياد بن عبد الرحمن الأندلسي المتوفى سنة 204هـ على قول كثير من المؤرخين، وبواسطته انتشر هناك، ثم نقلت بذور المذهب المالكي من الأندلس إلى فاس بواسطة طائفة من العلماء أما كتاب الموطأ فالذي حمله إلى المغرب هو عامر بن محمد القيسي الأندلسي ذلك فيما يتعلق بالأندلس والمغرب الأقصى، غير أن القاضي عياض ذكر أن علي بن زياد الطرابلسي، هو أول من أدخل الموطأ وجامع سفيان إلى المغرب وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم وهو معلم سحنون الفقيه.

وعن طريق تلاميذ علي بن زياد، سحنون، وأسد بن الفرات، والبهلول بن راشد أخذ المذهب ينتشر في شمال أفريقيا، انطلاقا من القيروان ليعم كافة الأقطار الأفريقية شمال الصحراء وبجنوبها، حيث وضع الإمام سحنون المدونة التي تجمع فقه المدرسة المالكية من أقوال الإمام مالك وابن القاسم وتعليقات سحنون عليها، كما ألف أسد بن الفرات كتاب أطلق عليه اسم "الأسدية" وهو مزيج بين فقه مالك وآراء مدرسة العراق.

ثم ما لبث أن تطور المذهب وزاد في الإنتشار على يد علماء أجلاء، جاءوا بعد الرواد الأوائل عكفوا على دراسة تراث المذهب وساهموا في تطويره وبحثه عن طريق تدريسه ووضع مؤلفات جديدة عليه، تلقفها بالقبول سكان الأندلس وشمال أفريقيا وجنوبها تلك الجهود والمؤلفات هي التي ساهمت في الحفاظ على المذهب وبقائه إلى الوقت الحاضر.

ومن أشهر رجال المذهب المالكي الذين ساهموا في خدمة المذهب على مر العصور بالإضافة إلى جهود علي بن زياد الطرابلسي وعبد الحميد ابن أبي الدنيا الطرابلسي هناك علماء آخرون منهم على سبيل المثال لا الحصر:.

- الشيخ أبو جعفر أحمد بن نصر الداوودي الطرابلسي الذي عاش في طرابلس ووضع فيها كتابه "النامي في شرح الموطأ" المتوفى بالجزائر سنة 402هـ.
- الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الزليطني القروي المعروف بـ حلولو، له مجموعة من المؤلفات القيمة تولى القضاء بطرابلس ثم انتقل إلى تونس وفيها توفى عام 898هـ.
- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد التاجوري، العالم الفلكي الشهير له مؤلفات كثيرة في هذا المجال، وقصته مع قبلة جامع القرويين بفاس مشهورة، توفى عام 960هـ.
- الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، العالم الكبير، له مؤلفات في العقيدة والتفسير والتراجم وغيرها المتوفى بالجزائر عام 963هـ.
- الشيخ أحمد بن محمد المكني مفتي طرابلس المتوفى عام 1100هـ.

- العالم الجليل الشيخ محمد بن محمد بن مقيل مفتى طرابلس تميز بفتاواه الجيدة واجتهاداته في الفقه من خلالها المتوفى عام 1101هـ.
- الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري له عدة مؤلفات من أشهرها "تذييل المعيار" وهو كتاب في الفتاوى يقع في ستة مجلدات توفى عام 1139هـ.
- الشيخ أبو عبدالله محمد المسعودي له عدة مؤلفات من بينها "لوامع الغرر على نظمه اللآلئ والدرر في مصطلح علم الأثر" المتوفى سنة 1288هـ.
- الشيخ عبد الرحمن البوصيري له مؤلفات منها كتابه "اللآلئ والدرر في المحاكمة بن العيني وابن حجر" وهو كتاب في الحديث المتوفى عام 1354هـ.
- الشيخ محمد بن محمد بن عامر، مؤلف كتاب "ملخص الأحكام الشرعية على المعتمد من مذهب المالكية" المتوفى عام 1381هـ.

أسباب اختيار المغرب العربي (ليبيا) للمذهب المالكي.

إن هناك العديد من الأسباب التي جعلت المغاربة يختارون المذهب المالكي دون غيره من المذاهب الفقهية، التي نشأت في شرق العالم الإسلامي، وهذه الأسباب متعددة ومتنوعة، وقد اهتم بها العلماء منذ القديم؛ حيث حاول ابن خلدون تفسير ذلك قائلاً: ((وأما مالك رحمه الله فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس وإن كان يوجد في غيرهم؛ إلا أنهم بما يقلدوا غيره؛ إلا في القليل؛ لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك، وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده. فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته. وأيضاً فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة، التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة؛ ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب))[1]. ولاشك أن تفسير ابن خلدون فيه الكثير من الصحة، يضيف الباحث إلى ما ذكر، مايلي:

1. اتصال أهل المغرب بالإمام مالك مباشرة، والتتلمذ على يده، ونقل آرائه وعلمه وفتواه إلى بلادهم، وقد وجدوه الأنسب مع بيتهم، ففضلوه على غيره من المذاهب، فغلب مذهبه عليهم كما يشير إلى ذلك ابن فرحون.[2]
2. نفور سكان المغرب العربي من كثرة ثورات الخوارج، التي لا تكاد تنقطع، والفتن السياسية، والفرق المبتدعة والضلالات المنتشرة؛ وقد وجد المغاربة ضالتهم عند الإمام مالك، الذي أصبح عندهم إماما (إمام دار الهجرة) ولا إمام غيره وقد اقتدوا به، واتخذوه قدوة لهم في كل شيء، حتى في أحوال معاشه ولباسه وطعامه، وكيفية جلوسه للإسماع وطريقته في الحديث.[3]
3. تبني المرابطين للمذهب المالكي، وجعله المحور للتكوين العلمي والتربوي لجميع أفراد المجتمع، وبناء المجتمع وفق أصول هذا المذهب وفروعه. وإنزال الفقهاء المالكية منزلة ريادية وقيادية في تعميق المفاهيم الإسلامية وفق أصول المذهب المالكي؛ وقد أدى هذا السبب إلى القضاء على بقية المذاهب التي كانت في الساحة كالخوارج والشيعة.

دور التراث المالكي في تحقيق الوحدة:

ـ وسائل المذهب المالكي وتراثه لتحقيق الوحدة والتواصل بين الأقاليم.

لقد كان المذهب المالكي ولا يزال من أكبر الوسائل التي حققت الوحدة والتواصل والانسجام بين الأمة الليبية وهذه الوحدة والتواصل شملت جميع مناحي الحياة عقيدة وفقها وسياسة واقتصادا واجتماعيا؛ وقد وظف المذهب المالكي وتراثه مجموعة من الوسائل لتحقيق هذه الغاية النبيلة، الوحدة والتواصل بين الأمة الليبية؛ وأهم هذه الوسائل في نظر الباحث تتمثل في:

[1] ـ ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، ط1996م، ص 363.
[2] ـ ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، ط 1975م، 61/1.
[3] ـ السيد أبو العزم داود، الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين، مكة المكرمة، منشورات المكتبة الفيصلية، ط 1985م، ص 67.

1. اعتماد فقهاء اقليم طرابلس وبرقة وفزان على الكتب الفقهية المتداولة في المغرب العربي، وهي كثيرة منها: موطأ مالك. مدونة سحنون. الشفا للقاضي عياض. الرسالة لأبي زيد القيرواني– مختصر ابن الحاجب. مختصر خليل. القرطبية في الفقه. جامع المعيار للونشريسي. جمع الجوامع في الفقه. المدخل لابن الحاج– نظم أبي مقرعة. تحفة الأحكام وشرحها: فرعى ابن الحاجب. التوضيح لخليل. المنتقى للباجي. مقدمة التاجوري. المرشد المعين لابن عاشر. لامية الزقاق– المنهج المنتخب في قواعد المذهب. البيان والتحصيل وغيرها [4](50) وهذا يعني بلغة التربويين توحيد المناهج بين الاقاليم، وتوحيد المناهج لا يقتصر فقط على الفقه؛ بل يتعداه إلى بية المعارف من لغة وأدب، وتفسير وحديث وقرارات وعقائد وحساب وفلك ومنطق وسيرة. كما كانت مدارس في المغرب العربي تدرس نسيم الرياض، ودلائل الخيرات للجزولي، والمرشد المعين لابن عاشر الفاسي، ومؤلفات أحمد المقري، والدرر اللوامع قراءة نافع لابن بري، وإضاءة الدجنة في قواعد أهل السنة للمقري[5].ولم يكتف علماء ليبيا بدراسة المؤلفات المالكية المغربية فحسب؛ بل درسوها دراسة وافية ووضع الكثيرون منهم شروحا واختصارات وهوامش وتعاليق على هذه المؤلفات.[6]

2. إيفاد طلاب العلم إلى تونس والمغرب والحجاز للتعمق في دراسة العلوم والثقافة، ثم يعودون إلى بلدانهم؛ لنشر ما تعلموه بين أبناء شعبهم، وقد عرف الكثير من علماء المغاربة، الذين رحلوا في طلب العلم، واشتهروا في الشرق بعلماء المغاربة.

3. تجارة الكتب، وقد كانت هذه التجارة مربحة في المغرب، وقد كانت هذه التجارة في كثير من الأحيان على أيدي الفقهاء التجار، الذين يقدمون إلى من المغرب؛ لغرض التجارة والتعليم في آن واحد والحج و من مصر والمشرق، الذين ارتحلوا لطلب العلم.

إن إعمال الوسائل السابقة للمصلحة المذهب المالكي وتراثه عقيدة وفقها؛ قد حققت وحدة وتواصلا بين الاقاليم الليبية وهذه الوحدة تمثلت في الأهداف التالية:ـ

أ/ إذ الهدف الأكبر هو التمسك بالمذهب السني، المتمثل في المذهب المالكي وتراثه؛ وإقامة الحياة وفق أسسه وأصوله.

ب/ كما وحد هذا المذهب وتراثه المحتويات التعليمية والمقررات بين علماء الإقاليم، وهذا حتما؛ يؤدي إلى توحد النموذج التعليمي وطرق التدريس والوسائل التعليمية المستخدمة من حفظ وتلقين واستظهار، وحوار ومناقشة، نفسها يستخدمها المدرسون والعلماء.

ج/ لقد استطاع المذهب المالكي وتراثه أن يحقق وحدة وتواصلا بين الإقاليم، وتتمثل مظاهر وصور هذه الوحدة والتواصل في النقاط الآتية:

أولاً: في الجانب التعليمي:ـ

الحرص على حفظ القرآن وتعليمه والتفقه في الدين، والإقبال على الصلوات وتعمير المساجد والازدحام عليها.

ثانياً: سيادة الأمن في البلاد، والبعد عن إثارة الفتن والقلاقل.

ثالثاً: الاهتمام بالأعياد الإسلامية، وصلاة الجمعة، ولبس الثياب البيض الحسان في يوم الجمعة[7].

رابعاً: احترام العلماء وتبجيلهم؛ وخاصة القضاة والفقهاء، لدرجة أن البعض من الباحثين رأى أن درجة القاضي في الدولة أعلى من درجة الوالي والأمير، وقد فرض القضاة أنفسهم على الامراء بسبب استقامتهم؛ وبسبب الدور الذي لعبوه في إشاعة النظام والأمن والاستقرار، والإشراف على التعليم، والقيام ببناء المساجد.[8]

خامساً: التزمت والشدة في الدين وتمسك الفقهاء بالتقاليد، وعزوفهم عن مصاحبة الامير

---

[4] ـ أبوبكر إسماعيل ميغا، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، الرياض، مكتبة التوبة، ط1، 1997، ص 233 – 234.
[5] ـ الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الإفريقي من القرن 13 – 15م، ليبيا، الشركة العامة للورق والطباعة، ط2 1999م، ص 152.
[6] ـ الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 152.
[7] ـ أبوبكر إسماعيل ميغا، المرجع السابق، ص35 اعتمادا على رحلة ابن بطوطة ونقلا منه، ص 450.
[8] ـ أبوبكر إسماعيل ميغا، المرجع السابق، ص 280- 281، 299.

سادساً: عدم حضور المذاهب الأخر بقوة في المغرب العربي من حنبلية أو أحناف أو شافعية؛ وحتى مذهب الخوارج، الذي انتشر في فترة بين القبائل البربرية في المغرب، تراجع كثيرا أمام سيطرة المذهب المالكي، وإثبات أقدامه الراسخة في المنطقة. ويخلص الباحث إلى أن هذه المظاهر التي أوضحها كانت مشتركة بين ابناء المجتمع الليبي، كما أنها شملت جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية؛ فالرؤية موحدة؛ لأن المنطلق الفكري والعقدي واحد، وهو ما حقق الوحدة والتواصل بين ابناء الأمة الليبية؛ نتيجة التمسك بالمذهب المالكي، وأصبحت الشخصية الليبية موحدة مضمونا وشكلا.

المبحث الثاني: دور المذهب المالكي وتراثه في الحياة الاجتماعية

كان للفقهاء دور كبير في تنظيم الحياة الاجتماعية ومحاربة الأخلاق والعادات السيئةالمنتشرة في المجتمع، كان للفقهاء مكانة خاصة في المجتمع الليبي، فهم رجال الدين والدنيا، فمنهم الأئمة والخطباء والفقهاء، والقضاة، والمشاورون، والمفتون والعدول وغيرهم،. واستمدوا مكانتهم، ونفوذهم من كونهم حفظة الدين وحملة الشريعة، ومن المجتمع الذي يجلهم، والدولة التي تحترمهم، وتقف عند آرائهم وتعمل بإشارتهم[9].

فقد حاز الفقهاء مكانةمرموقة بين الخاصة والعامة، فلقد مثل الفقهاء الطبقة الدينية المثقفة في المجتمع الليبي، يسترشدون برأيهم وينتظرون مواقفهم الإصلاحية. كما أنه ألقي على عاتقهم عبء الإصلاحات الاجتماعية ومحاولة الحفاظ على قيم المجتمع المسلم وظلت أعين الناس حكاما ومحكومين معقودة عليهم. ولذا لم يأل فقهاء المجتمع الليبي جهدا في سبيل إصلاح المجتمع وتقويمه لقضاء على بعض الأعراف التي لا يقرها الإسلام وتعزيز القيم والأخلاق الإسلامية في المجتمع.

ومن أهم الأسباب التي تفسر تمتع الفقهاء بمركز اجتماعي متميز وبدرجة كبرى من المصداقية، أن أهدافهم الأساسية في الحياة لم تكن مادية مثلا لم يكن الحصول على العلممرتبطا بدخل مرتفع وبثروة عظمى، أو بأرباح مادية بل على عكس ذلك، اعتبر واجبادينيا وأخلاقيا.[10] ومن الأدوار الهامة التي لعبها الفقهاء في طرابلس في أمارة بن الثابت.

أولاً: أثر المذهب المالكي في الحياة الزوجية. (الزواج والطلاق، الخلع، وقضايا الشرف).

كان الزواج من أهم الطقوس العائلية في المجتمع الليبي، انطلاقا من حث الإسلام عليه تخلق حياة عفيفة داخل المجتمع، وشأن غيرها من المجتمعات الإسلامية. لم يكن الزواج في المجتمع الليبي اختيارا شخصيا. ولكنه اختيار تشارك فيه الأسرة باستشارة الداخلية من قبل الخاطب، فالرجل هو الخاطب ويتم من خلال هذه الاستشارة تحدد المواصفات المرغوبة في الزوجة، والتي تتمثل في حسن الخلق والأصل وكمال الدين، كما يعد الجمال أحد العوامل الجذابة في اختيار الزوجة[11].

ويمنع لأهل خروج الفتاة إذا تقدم لخطبتها من لا يرضونة، ولكن رأيها هو المعول عليه، إذ نجد من تقول "لا تزوج غيره"[12]، ووفقا للأعراف الجارية في المجتمع، كان عندما يرغب الرجل في الاقتران بامرأة ما، وبعد موافقة أبيها على الخطبة، وفي الخطبة يتم تعيين الصداق الذي يتفق عليه سواء كان نقدا أو عينا، ويتم تسجيل هذا الصداق في العقد وكان أمرا واجبا وفقا الإحكام التشريعية الإسلامية لقوله تعالى في سورة النساء "واتو النساء صدقاتهن نحلة"، وبمقابل كما جرت العادة لا يسجل جهاز العروس في عقود الزواج الإسلامية، وكان الصداق يدفع جزء منه قبل الدخول على العروس والجزء الأخر يؤجل على يدفعه فيما بعد العريس خاصة في حالة الطلاق، وبعد الاتفاق على المهر أو الصداق يقد الخاطب هدية للعروس من كسوة وطعام وحلى[13]، ومن العادات التي كانت متبعة أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل خطبتها وفق الشريعة الإسلامية، وأن المرأة تستشير في شأن خاطبتها المشايخ وغيرهم[14]. وهذه

[9] ـ عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510-545/ 1116- 1151) دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988م، ص 272.

[10] ـ انظر إلى رياض النفوس.

[11] ـ حامد، زينب محمد: مظاهر الحياة الاجتماعية في المغرب الإسلامي، مجلة مدارات تاريخية، أفريل- 2019م، ص 119.

[12] ـ الشماخي: السير 2/ 181- 182.

[13] ـ الو نشريس: المعيار المغرب 2/ 129 الحضيري: المسك والريحان فيما احتواء عن بعض علماء فزان، تحقيق أبوبكر عثمان، الطبعة الأولى، (ليبيا، 1996م) ص 318.

[14] ـ الدرجيني: طبقات المشائخ، 1/ 65.

العادات والاعراف التي عليها المجتمع الليبي نتيجة أثر المذهب المالكي فنجد عن عادات المجتمع الليبي وفق المذهب المالكي[15] لا يتم النكاح إلا بولي وصداق وشاهدي عدل وخالف الأحناف في ذلك، فهم لا يشترطون الولي، فبإمكان المرأة تزوج نفسها[16].

ومن هنا يتضح اختلاف المجتمع الليبي في عاداتهم في الزواج عن المجتمعات التي يسود فيها مثلا مذهب الأحناف الذي تصح عندهم شهادة النساء على عقد النكاح فعندهم كل من صلح أن يكون ولياً في النكاح بولاية نفسه يصلح شاهداً فيه، والمرأة عندهم يمكن أن تكون ولية نفسها أما في المالكية لا يصح[17]. أما في القرى والبادية غلب العرف على الشرع في إجراءات الزواج وإثباته؛ ففي البادية يكون إثبات الزواج شفوياً بإقامة وليمة؛ يدعي إليها الناس كنوع من الإشهار، ويتم في غيبة القاضي والشهود، وكانت العادة عند العرب، حتى وإن كانوا من سكان المدن عدم قبول العدول المعينين من السلطة الحفصية في الشهادة على الزواج[18]، وفي القرى كان يكفي الإشهار في الزواج، وحتى يتوافق الشرع مع العادة أجاز بعض الفقهاء الزواج بالإشهار إذا كان بعيداً عن موضع القاضي والشهود، ولم يجزه البعض الآخر من شيوخ البرزليي بحجة أن الإشهار لا يغني عن الإشهاد[19].

جرت العادة في الريف أو البادية أن يقدم العريس مهراً للعروس عبارة عن أرض زراعية مسماة تعرفها المرأة[20]، أو بعدد مسمي من المواشي[21]، وجرت العادة أن تظل الأرض تحت يد الزوج يستغلها برضاء الزوجة حتى لو كان الزوج متعدد الزوجات؛ ففي أحد الأسئلة طالب أولاد الزوجة المتوفاة من والدهم ما أغتله من أرض والدتهم بعد زواج استمر نحو عشرين عاماً[22]، وفي بعض مناطق الريف الأخرى كان مقدم الصداق لا يدفع نقداً، وإنما عيناً من الحلي الذهبية أو الفضية وكذلك الكسوة، وتقدر هذه الأشياء بالدنانير، وفي البادية يعطيها صداقها نقدا ويكسوها ويدخل عليها[23]، وتكون الكسوة في البادية "على قدر الرجل وهمته"، أما المهر فقيمته معلومة وواحدة للكل والفرق فقط في الكسوة[24]، ومن عاداتهم أنهم لا يسمون صدقاتهم ولا يشهدون عليها وقت الخطبة ولكن عند الزواج[25]. كما أن من حق المرأة أن تشترط على زوجها عدم التزويج عليها أو التسري، إلا بإذنها ورضاها،[26]

وقد يشرط الوكيل العروس خدم يقوم مساعدتها، على الزوج نفقتها أو أن يأجير عامل، ويوثق ذلك في عقد عند القاضي بحضور شهود حتى لا يضع حق العامل ويتناقل بين الناس الاتفاق.[27] تحمل العروس إلى بيت زوجية في العمارية[28] أو الهودج[29] كما هو مركوب النساء في السفر واختفت هذه الوسيلة تدريجياً مع تطور وسائل النقل والمواصلات الحديثة. كذلك ما جرت به العادة من إعطاء الدراهم لأهل المزامير والملاهي بين الناس في الاعراس، وأيضاً عادة دفع النساء الدراهم ويعلن عن ذلك بالأصوات بأن فلانة أعطت كذا حتى يسمع من في الحفل وعندما تحدث مناسبة الطرف الآخر يفعل ما فعلت الأولى لها من رد ما دفعت في حفلها من دراهم.[30]. وهذه العادة ما زالت موجودة عرفيا يعرف (بالزلوف) وهو إعطاء مبلغ من المال أو الهدايا لإصحاب المناسبة ترد للطرف الآخر في مناسباته سواء كانت زفاف أو غيره.

الهدايا التي تهدي في الاعراس والمناسبات.

سئل الشيخ عن الهدايا التي تهدي في الاعراس للزوج هل تؤكل أو لا توكل حيث يهدي للمتزوج من أقاربه وأصحابه من الطعام وغيره شيئاً وإذا تزوج احد من الطرف الآخر يهدي له كذلك كأنه يرد له على وجه السلف وتعرف بالدارجة الليبية (الرداده)[31].

---

15 ـ المدونة، 2/ 298، الثمر الداني، 905، عبد الرازق، 7.
16 ـ البحر الرائق، لابن نجيم 3/ 117م.
17 ـ عبد الرازق، ص 7.
18 ـ الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد المجدوب، عبد العزيز المجدوب، المكتبة العتيقة، تونس، 4 ص 119.
19 ـ البرزلي، الفتاوي، 2 ص 446، وعادة الزواج دون شهود كانت موجودة على زمن البرزلي في جزيرة جربة بين الشيعة (زواج المتعة) بأن يبيت الرجل مع المرأة باسم النكاح ويقال تزوج فلان فلانة بغير شهود، الفتاوي، 2 ص 199.
20 ـ البرزلي: الفتاوي، 208/2.
21 ـ البرزلي: الفتاوي، 208/2.
22 ـ الصدر ننفسه، 250/2.
23 ـ البرزلي: الفتاوي، 254/2.
24 ـ البرزلي: الفتاوي 260/2.
25 ـ البرزلي: الفتاوي 262/2.
26 ـ الهواري، ص 183.
27 ـ الهواري، ص 240.
28 ـ العمارية: هي الهودج المنمق بالذهب والفضة وفرها بأشكال مختلفة وهي تقليد عريق حيث يعتبر صعود العروس إلى العمارية أهم طقوس العرس المغربي.
29 ـ التاجوري: تذليل المعيار.
30 ـ المصدر نفسه، ص
31 ـ التاجوري: تذليل المعيار.

ـ الطلاق: قوله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف) النساء: 19.

يجب على الزوج أن يحسن عشرة زوجته بحيث تكون مصاحبته لها بالمعروف، أي: بحسب ما تعرفه بطبعها، ومخالطته إياها بما تألفه من سجيتها، وهذا مشروط بما لا يستنكر من ذلك شرعاً، بمعنى أن لا تخرج عشرة زوجته عن حدود العرف والمروءة؛ لأن مراعاة عرف الناس وعاداتهم مقيد بعدم مخالفة الأحكام والأخلاق التي يدعو الشرع إليها ولآداب التي يحث عليها. وفي حالة الخلاف والطلاق فكان موقف الزوج من ذلك وفق ما تقر به الشريعة والعرف.

روي عن عروة بن الزبير قال: كان الناس يطلقون من غير حصر ولا عدد، كان الرجل يطلق أمراته، فإذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها كذلك راجعها[32]. فنزل قال الله تعالى (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا إلا يشما حدود الله فإن خفتم إلا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون(229).

لقد كان فقهاء المالكية في الحضر يتلطفون بالناس في أحكام الطلاق، ويتلمسوا لهم الأعذار حفاظا على كيان الأسرة لحماية الأطفال من التشرد وضياع، ففي حالة نطق لفظ الطلاق أكثر من مرة فلا يحكم عليه بالتحريم، بل يعتبر طلقة واحدة وله حق الرجعة[33]، هذا خلاف ما يحكم به بعض الفقهاء في المذاهب الآخر. وتستشار الزوجة في حق العودة إلى بيت الزوجية أو الطلاق، ولا يحق لولي الأمر استرجاعها إلى بيت الزوجية بالإكراه[34].

وهذا ما يتضح من هذه المسألة "رجل طلق زوجته خلعا ثم مشي ورجع وقال هي طالق أربعين وسئل الشيخ المكني بما حاصلة رجل طلق خليعة ثم مشي ورجع فقيل له كل فقال: هي طالق بأربعين. فأجاب إذا كان الأمر كما ذكر فلا تلزمه إلا طلقة الخلع الأول وله مراجعتها برضاها وعقد جديد"[35].كما أن للزوجة حق الامتناع عن السكن مع ضرتها وأقارب زوجها إلا برضاها[36] منعا من وقع المشاكل بين أفراد العائلة[37]. كما أن للمرأة في المدن حق الخلع[38] عكس ذلك في الريف يعتبر طلاق المرأة عار.

أما حالة الطلاق في القري الكثير منهم لا يتبعون الأحكام الشرعية في زواجهم ولا في طلاقهم مضلين العرف والعادات والتقاليد؛ فالطلاق كان يرونه عار يلحق بالمرأة خاصة التي تطلبه، المرأة التي فرت من قريتها، ولجأت إلى قاضي المدينة، وطلبت منه أن يطلقها للضرر؛ لأن عودتها مرة أخرى إلى القرية يعرضها للقتل، وهو ما رصده البرزلي في إحدى قري القيروان التي تبعد عنها بنحو تسعة أميال، عندما لجأت زوجة للقاضي الذي أراد أن يصلح بين الزوجة وزوجها ولم يطلقها، ومكنها من قريتها ووعظ ونصح الزوجين، لكن لم يجد ذلك وتم قتلها، وفي حادثة أخري وقعت سنة 809هـ/ 1406م هربت الزوجة من قرية جبلية على بعد مرحلة من القيروان فطاردها زوجها. فهربت إلى تونس ودخلت في حماية أحد زعماء العرب[39]، لذلك كان الإقدام على طلب الطلاق فيه مخاطرة على الزوجة؛ لذلك لجأت النساء إلى بعض العرافين ليكتب لها (كتاب عطف) إذا أعرض عنها زوجها أو خاصمها فيه بعض آيات من القرآن الكريم[40]،وفي بعض الحالات كانت تدعي الكذب بادعاء بعض العيوب ليست في زوجها؛ حتى تحصل على الطلاق بالاتفاق مع المفتي الذي يجد لها مخرجاً، مثلما حدث في تونس عندما جاءت لمفتي تونس ابن علوان تطلب الطلاق من زوجها الأندلسي الذي أساء عشرتها، فقال لها: أدعي عليه أن داخل دبره برص، فادعت ذلك عليه؛ فحكم عليه بأن ينظر في ذلك المحل، فلما رأي الزوج ذلك طلقها[41].

---

[32] ـ الهواري، عبد السلام بن محمد.

[33] ـ الطاهر: عبدالله، شرح المدونة الأسرة في إطار مذهب المالكي 33/2، انظر كذلك ابن رشد: شرح بداية المجتهد، 2/ 48.

[34] ـ أبو فارس: خالد حمزة: الحياة العلمية في ليبيا من خلال رحلة العياشي فتاوي أحمد المكني نموذجاً، مجلة البحوث الاكاديمية، جامعة المرقب، العدد (8)، ص 109، انظر كذلك فتح العليم، 2/ 386.

[35] ـ أو فارس: نفس المرجع، ص 109 نقلاً فتح العليم 2/ 386.

[36] ـ نفس المرجع، ص 110 نقلا فتح العلم.

[37] ـ أبو فارس: المرجع السابق، 110 نقلاً عن فتح العلين 2/ 462.

[38] ـ الهواري:

[39] ـ البرزلي، الفتاوي، 2/ 425.

[40] ـ البرزلي/ الفتاوي، 1/ 383.

[41] ـ البرزلي، 2/ 283.

وفي قضايا الشرف:وسئل عمن رأى أخاه على معصية زنى أو لواط أو غيره، هل يفشي عليه ذلك من أول مرة؟ وكيف إن كان منه ثانية وثالثة ما حكمه؟ فأجاب من عمل المعاصي فلا يهتك ستره، وإن رجا موعظته وعظه برفق. وقال عليه السلام لبعض أصحابه: هلا سترته بردائك [42]. وهذا يدل على منع انتشار الرذيلة في المجتمع، وكان يفرض الزواج على من وقع بها.

ثانياً: تربية الأبناء : تتجلي مظاهر اهتمام الآباء بتربية أبنائهم وحرصهم على صلاحهم في عنايتهم بحفظ أبنائهم القرآن الكريم. فلقد كان الآباء حريصين على تعليم أبنائهم القرآن الكريم وأن كلفه ذلك أجارة مؤدب لتعليمهم باجر معلوم، وكان يشترط في تعليم الصبيان أن يكون المؤدب مشهور له العفاف ولا يكون شيخاً كبيراً، ولا أرب له [43]. إذا كان هذا في زمن البرزلي فكيف بزمننا، وقد أهمل الناس هذا الشرط، فنشأ من الفساد ما الله أعلم به.

ثالثاً: اخلاق المجتمع: يمدحون الرحالة والجغرافيين القبائل العربية في الاقاليم الليبية فيقول ابن رشد السبتي أثناء مروره بطرابلس: "…..فوافيينا مدينة طرابس– فرأينا بلداً حسنا وناسا فضلاء …." [44] ويقول التجاني عند دخوله لطرابلس: "….. وخرج جميع أهلها مظهرين الأستبشار ورافعين أصواتهم بالدعاء، وتخلى إلى البلد إذ ذلك عن موضوع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنا بها…."[45] وهو ما يؤكد أن التجاني وجد أهلها من أكثر الناس جواً، وأحسنهم معاملة، وأنبلهم خلقاً وفضلاً، فعزم على الإقامة بها لمدة طويلة من الزمن[46]، وما شك أن هذه الفضائل النفيسة والقيم المحمودة من أعرق الصفات الراسخة في نفوس الأهالي، وأبرزها شيوعا بينهم، وهي أمثل الواقع التي جعلت هذا الرحالة ينظر إلى المدينة طرابلس الغرب بعناية مخصوصة، ويبدى إعجابه بعمارتها أثناء وصفه لها وحديثه عنها[47].

وري العبدري بمروره في مدن إقليم طرابلس، إلا أن هذه المرة نجده بمدح مدينة مسلاته وأهلها بقوله: "….. قوم يبرون أهل الدين ويكرمون الحاج، وهم على خير وصلاح….[48].ومن مكارم الأخلاق المجتمع الليبي التعاون على نوائب الدهر والإحسان إلى المحتاجين وقضاء حاجتهم، الصلح بين المخاصمين، إنظار المعسر والتجاوز عن الدائن، حث علماء المالكية الأهالي على هذه المكارم وحتى يطمن المدين على ماله وتظل المروة بين إفراد المجتمع هماكعرف اجتماعي يعرف الضمان أو الكفالة "هو التزام المكلف بأداء ما وجب على غيره من الحقوق المالية"[49]، الضمان عقد جائز، والمصلحة تقتضيه، بل قد تدعو الحاجة إليه، وهو من التعاون على البر والتقوى، وفيه قضاء لحاجة المسلم، وتنفيس لكربته.

وهذا العقد المتعارف عليه اجتماعيا أثر كبير في ترابط المجتمع ونشر قيمة المحبة والألفة والتسامح والبر بينهم.[50] السعي للصلح بين المتخاصمين، لإزالة الشقاق بينهما، وبذلك تصفوا النفوس، وتزول الأحقاد، وكان يقوم بها شيوخ القبائل، وكبار التجار والعلماء وكبار الأعيان في المدينة. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم وأتقوا الله لعلكم ترحمون (10) ((الحجرات/ 9–10).

يحرم على المالك أن يحدث بملكه ما يضر بجاره من ماكينة قوية، أو فرن ونحوهما، فإن لم يضر فلا بأس، وللجار على جاره حقوق كثيرة أهمها: صلته، وبره، والإحسان إليه، وكف الأذى عنه، والصبر على أذاه ونحو ذلك مما يجب على المسلم. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم:- "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه". متفق عليه.المجتمع يرعى اليتيم في سؤال الشيخ المكي "عن إذا عضل اليتمية زوج أمها فإن للحاكم تزويجها وكذلك جماعة المسلمين.[51]كان الفقهاء دور كبير في مساعدة غيرهم من غير القادرين على الحجومن اخلاقهم. العفو في القتل العمد، من عرف الناس المشهور هنا، جواز العفو

- ينظر: المعيار المعرف والجامع (1/ 499).

43 - الهواري، ص 304.

44 - ابن رشيد السبي، الرحلة، ص 1، نقلاً عن ليبيا في كتاب الجغرافة والرحلات، ص 116- 117.

45 - التجاني: الرحالة، ص 237.

46 - نقولا زيادة، لمحات من تاريخ العرب، منشورات دار الكاتب اللبناني، ط1 (بيروت، 1961م)، ص 300.

47 - مفتاح عبد الجليل، وصف طرابلس الغرب في الرحلة التجانية، ص 535.

48 - العبدري: ص

49 - عرفها الصاوي بقوله: "التازم مكلف غير سفيه دينا على غيره مع بقائه شاغلاً لذمته = انظر بلغة السالك مع حاشية الصاوي على الشرح الصغير وكذلك انظر مواهب الجليل، ص 965.

50 - زيدان، محمد زيدان، مازن مصباح مصباح، أحكام الكفالة بالمال، جامعة القدس المفتوحة، غزة، مجلة جامعة الازهر سلسلة العلوم الإنسانية، غزة، المجلد 14 العدد 1 لسنة 2012، ص 392.

51 - أبو فارس، خالد حمزة: الحياة العلمية فيي ليبيا من خلال رحلة العياشي (فتاوي أحمد المكني نموذجا)، مجلة البحوث الأكاديمية، كلية الآداب جامعة المركب العدد الثامن لسنة 2017، ص 109.

عن القاتل عمدا عند الصلح، ويكون أمر هذا العفو في يد الذكور من دون الإناث من أولياء الدم، وهذا نوال الراجح من مذب مالك[52].

ـ ومن اخلاقهم تعظيم الشعائرالدينية:ـ كان لفقهاء المالكية دور مهم في الاستعداد لاستقبال شهر رمضان تطبيقاً لتعاليم السنة النبوية الكريمة، فكانوا يحثون الناس على أن يكثروا من العبادة وفعل الخير والتردد على المساجد في أوقاتها. ويظهر ذلك جليا في شهر رمضان، فيحرص الناس أشد الحرص على الصيام، فلا يتقبل الناس من أحد أن يفطر تحت أي ذريعة، ولو كان صاحب عذر، وأرى أن ذلك من اثر فقه مالك، فمالك يوافق أبا حنيفة ويخالفه الشافعي وأحمد في كون المفطر بالأكل والشرب في نهار رمضان كالمفطر بالجماع، عليه القضاء والكفارة[53]، لذلك انعكس هذا الفقه حرصا شديدا بين الناس على الصيام، وأن توفرت الرخصة لمفطر.

كما نلاحظ أن الناس لا يأخذون برخصة الإفطار في السفر، ويعيبون على من يفعلذلك هذا من أثر المذهب، فعند المالكية الصوم أفضل للمسافر[54]، وعلى المسافر الكفارة إن أفطر في سفر قد بيت فيه نية الصيام ومن تعظيمهم الشعائر الدينية ذبح الأضحية العيد الكبير "كما يسمونه، على ممارسة طقوس وعادات اجتماعية، حيث تشكل عملية اقتناء الأضحية الاستعداد له من مدة يكون ذلك بتربية الأضحية إطعامها الشعير وهذه العادة يقوم بها جميع المجتمع الغني منهم والفقير. ويحرصون كل الحرص أن تكون الاضحية من الضأن أو الماعز، ولا يحبذوا الاضحية تكون من البقر أو الإبل وهذه خصوصية في المذهب، فعند المالكية الضأن مقدمة على غيرها، والذكر منها أفضل، ثم الماعز ثم البقر ثم الإبل[55].

رابعاً: صور من العادات والتقاليد المجتمع الليبي:

1/ في الاعياد لبس الثوب الجديد، فنلاحظ تزاحم الاسواق في ليالي العيد لشراء الثياب الجديدة لحرصهم الشديد على ذلك، وكانت الزوجات تقوم بتزيين الأبناء بالملابس الحسنة وتلبس البنات الحلى، وزيارة الاقارب والجيران لتبادل التهاني العيد[56]. وهذا يرجع إلى أثر المذهب المالكي، فقهاء المالكية يفضلون لبس الثوب الجديد في العيد لا المغسول[57]، واتفق الجمهور على ندب لبس الجديد أو المغسول[58]، فخصوصية المذهب في ذلك اعتقد جعلت الناس يحرصون على لبس الجديد في الاعياد ما استطاعوا.

2/ بنظافة الملبس والمسكن:

تميز المجتمع الليبي بنظافة في الملبس والمسكن حيث نجد ابن حوقل يشير إلى اهتمام أهالي طرابلس بملابسهم ونظافتها/ وفي ذلك يقول: ".... كان أهالي طرابلس يهتمون... بنظافة الأغراض والثياب والأحوال، ومتميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصور....."[59]، وهو ما يعني الاهتمام بمظهرهم وأناقتهم. وهذا راجع إلى أثر المذهب المالكي فيهم الذي حث على النظافة وفق منهج الكتاب والسنة لقد كانت عادة الاغتسال يوم الجمعة من العادات المشتهرة بين الناس، لأن الغسل يوم الجمعة عند المالكية سنة خلاف الجمهور الفقهاء القائلين باستحبابه[60] ويرجع القول بسنيته فيما أرى، لرواية مالك لحديث غسل يوم الجمعة بصيغة الوجوب[61]

3 . في العزاء

ترتبط الوفاة كما في ثقافات مختلفة حول العالم بمجموعة من الطقوس الاجتماعية التي تتلازم مع هذا الحادث الطبيعي والحتمي، ولعل ما يشكل القاسم المشترك في ما بينها هو التعبير الوجداني عن الشعور بالحزن في أجواء يطبعها عموما الأسى وأحياناً الحداد على روح الفقيد .لا تختلف الثقافة المغربية كثيرا عن باقي الدول الإسلامية من حيث تفاصيل الدفن في التراب وإكرام الموتى وتقديم واجب

---

[52] ـ الموطأ، كتاب العقول، باب العفو في القتل العمد، كذلك عبد الرزاق، ص 8.

[53] ـ فقه على المذاهب الأربعة، 441/ 452.

[54] ـ الثمر الداني 356، الفقه على المذاهب الأربعة، 458.

[55] ـ قاله ابن أبي زيد، الثمر الداني، 454-455، الفقه على المذاهب الأربعة، 600 كذلك عبد الرزاق، ص9.

[56] ـ عثمان: ص 238.

[57] ـ الثمر الداني، 297.

[58] ـ الفقه على المذاهب الأربعة، 266.

[59] ـ ابن حوقل/ صورة الأرض/ ص 72.

[60] ـ الفقه على المذاهب الأربعة، 294.

[61] ـ الموطأ، كتاب الجمعة، باب العمل في غسل الجمعة، رقم2: غسل يوم الجمعة واجب على كل محمم كغسل الجنابة= انظر عبد الرزاق: أحمد حسن: أثر المذهب المالكي في الحياة الاجتماعية في ليبيا، ص4.

العزاء والتعبير عن الحس التضامني، لاسيما من قبل الجيران في الأحياء الشعبية والقرى عبر المشاركة في التأبين والدفن وصلاة الجنازة، أو حتى تقديم الطعام لأسرة الميت خلال مدة لا تقل عن ثلاثة أيام.

فمن العادات المتصلة بالجنائز والوفاة، منها عادة الجهر بالتهليل ليقوم الناس في جنائزهم عند حملها بالتهليل والتصليه والتبشير والتنذير على صوت واحد، وقرأت أفراد من عائلة شيئاً من القرآن الكريم، ويذكر بعض الابتهالات، يتم اعلان عن الوفاة من المؤذن ينادي في الناس توفي فلان بن فلان ويعلن عن وقت الجنازة.[62] وهذا كل من أثر المذهب المالكي، ومن العادات التي عرفت عن المجتمع الليبي. قراءة سورة يس على المحضر[63]، حيث استحب فقهاء المالكية قراءة سورة يس على المحتضر[1] والشائع بين الناس قراءتها.عند الاحتضار وبعد الموت وعند الدفن الأحاديث التي جاءت فيا أحاديث ضعيفة.

4 . في الافــراح

كانت النساء تذهب إلى حمامات المدينة، وكانت تصحب معها– خاصة العروس أهلها– وتأجر لها نساء يعملن عن حراسة ملابس– ما يساعدهن في حناء– هذا ما يتضح من النص "لرب الحمام دخوله هو مرة في الجمعة أو في كل شهر، أن ذكر من ذلك عددا من ذكوراً وإناثا كان، وأن اشترط مع ذلك على الكري ما احتاج إليه أهله من حناء ونوره لم يجز شيئا"[64].

خامسا: الرفق بالحيوان (الدواب المستخدمة في أعمال النقل):

فلقد تناولت الكتب الفقهية إلى مسائل الرفق بالحيوان خاصة التي تستخدم في نقل السلع والأمتعة، مثل الجمال والبغال والحمير والخيول، ولقد اشتهر استخدام الجمال في المنطقة الجغرافية التي تسمى حاليا ليبيا، نظرا لطبيعة الصحراوية التي تغلب على الإقليم.عادة ما كانت هذه الدواب المستخدمة في النقل يتم كرائها– أي استجارة– من قبل الحمالين[65]

كان يتم الاتفاق على تعين الشيء المحمول ومقداره، وأن يكون على الحمار بردعه والفرس سراج ولجام، ويذكر ثمن الأستئجار وعلفها. وعند استئجار الدابة لحرث أو الاستقاء يجب تعين الأرض، ولا تحمل شيء على ظهراها يضرها، عند حمل شيء قد يضرها مثل الزجاج يوضع شيء لحمايتها[66].

سادساً: أهل الذمة: فكان يسمح لهم باستغلال المرافق الاجتماعية الضرورية، لم يمنعوا في الاستقاء المياه مع المسلمين من الصهاريج، بل سمح لهم الخروج مع المسلمين في صلاة الاستسقاء وكل هذه القرائن تعكس مدى التعايش المشترك بين الشعوب الديانات. وكان القاضي في كثير من احكامهم احقاق الحق لأهل الذمة مع البينة دون اعتبار آخر، فلم يجد القاضي ابن رشد أي حرج من تحويل حكم كان لصالح مسلم إلى نصراني ثبت حقه قد هضم.[67] كان نساء المسلمين يدخلن الحمام مع الكاتبيات، ومشاركة أهل الذمة اعياد المسلمين وبالعكس وفي الاسواق والالعاب الشعبية في الشوارع.[68]

سابعاً: دور الفقهاء في محاربة البدع.

وسئل عن انشاد الشعر الغزلي في الصوامع عقب التهليل وما معه من الأذكار ما حكمه؟ فأجاب إنشاد الشعر الغزلي وغيره في الصوامع من البدع التابعة[69]. وسئل: عن الجهر بالذكر أمام الجنازة على صوت واحد كيف حكمه.فأجاب: إن ذكر الله والصلاة على رسوله عليه السلام من أفضل الأعمال، وجميعه حسن، لكن للشرع وظائف وقتها، وأذكار عينها في اوقات وقتها، فوضع وظيفة موضع أخرى بدعة، وإقرار الوظائف في محلها سنة. وتلقي وظائف الأعمال في حمل الجنائز إنما هو الصمت والتفكر والاعتبار، وتبديل هذه الوظائف بغيرها تشريع، ومن البدع في الدين، وقد قيل في قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم نهي عن أن يزكي بعض الناس بعضاً تزكية السمعة والمدح للدنيا. وكأن ولي الميت يزكي ميته بذلك الفعل من قبل نفسه ليعتقد ذلك له ولميته انتهى. وقال أيضاً:

---

[62] ـ المعيار 56/8 نقلا عن أبو مصطفي، كمال: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي- من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب، (جامعة الإسكندرية، 1977م) ص 39.
[63] ـ الثمر الداني 310، الفقه على المذاهب الأربعة = عبد الرزاق، ص 6.
[64] ـ بناني: محمد أحمد بن حمدون، شرح: الهواري، عبد السلام بن سيد محمد، مطبعة الاعلام، (مصر، 1377هـ) ص 293.
[65] ـ الحمالين: فئة من فئات اصحاب الحرف في المجتمع يقوم بحمل السلع على ظهورهم أو على ظهور دوابهما كل بقدر استطاعة ويتقاضي على ذلك الأجر متفق عليه مسبقاً مع صاحب السلعة.
[66] ـالهوراري: ص 244.
[67] ـ زناتي: أنور محمد، دور الفقهاء في الحياة الاجتماعية خلال المرابطين، مجلة كان التاريخية، الكويت، السنة 7 سنة 2014، ص 22.
[68] ـ الزناتي: المرجع السابق، ص 22.
[69] ـ ينظر: المعيار المعرب والجامع المغرب (1/ 199).

المنقول عن السلف الصالح رضي الله عنهم في المشي مع الجنائز هو الصمت والتفكر في فتنة القبر وسؤاله وشدائده[70].كان للعلماء المالكية دور بارز في محاربة البدع والخرافات والظواهر الوثنية المخالفة للشريعة، ويدخل في هذا المجال محاربة الكلام والمتكلمين والمنجمين والمشعوذين؛ وعلماء المالكية كانوا دائما قوة رادعة لكل المظاهر لمخالفة للشريعة، ايا كان مصدرها وكيف كانت قوتها، واشتهروا بشجاعة نادرة في هذا الميدان[71].

الخاتمة

تم بحمد الله المراد من بيان ما يتعلق بجهود الفقهاء في النوازل ونقل فتاواهم وما كان لهم في المجتمع من أثر ودور في حل مشكلاته والفتيا في النوازل والحوادث والنزاعات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أهم المصادر والمراجع

- الإعلام، خير الدين الزركلي دار العلم للملايين– بيروت الطبعة الخامسة 1980م.
- أعلام ليبيا، الشيخ الطاهر الزاوي مكتبة الفرجاني طرابلس، الطبعة الثانية، 1971م.
- البيان المغرب (الجزء الأول)، ابن العذاري المراكشي. تحقيق كولان وبروفنسال. الدار العربية للكتاب– ليبيا– تونس، ط. الثالثة، 1972م.
- تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الشيخ الطاهر الزاوي. دار الفتح ودار التراث العربي ليبيا، الطبعة الثالثة، 1972م.
- تاريخ ليبيا الإسلامي، عبد اللطيف البرغوثي. منشورات جامعة طرابلس.
- تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي إلى مطلع القرن التاسع، إحسان عباس. دار ليبيا للتوزيع، بنغازي، الطبعة الأولى، 1967م.
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ترتيب المدارك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي. تحقيق جماعة من العلماء. طبعة وزارة الأوقاف المغربية.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني تصوير دار صادر، بيروت، لطبعة حيدر اياد الذكن، 1325هـ.
- جدوة المقتبس، محمد بن أبي نصر الحميدي تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ 1983م.
- الديباج المذهب، إبراهيم بن فرحون.، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور. دار الثرات، القاهرة، دون تاريخ، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت لطبعة القاهرة، 1350هـ.
- رياض النفوس، أبوبكر المالكي، تحقيق بشير البكوش، طبعة دار الغرب الإسلامي.
- سير أعلام ليبيا (جزء 14)، محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق أكرم البوشي إشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة 1406 هـ 1986م.
- شجرة النور الزكية، محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، تصوير لطبعة المكتبة السلفية، سنة 1349هـ.
- طبقات علماء إفريقية وتونس، أبو العرب محمد بن أحمد تميم، تحقيق علي الشابي ونعيم اليافي، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية 1985م.
- طبقات الفقهاء، أبو إسحاق الشيرازي. تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت 1978م.
- ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، اتوريروسى. ترجمة: خليفة التليسي، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى 1394هـ 1974م.
- مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر الجزء التاسع عشر. اختصره علي منهج ابن منظور وحققه إبراهيم صالح. دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى 1409هـ 1989م.
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، عبد الرحمن بن محمدالدباغ. تكملة أبي القاسم بن عيسى بن ناجي، ج1، تحقيق شبوح ج2 تحقيق محمد الأحمدي ابو النور ومحمد ماضور ج3 وتحقيق ماضور، مكتبة الخانجي بمصر والمكتبة العتيقة بتونس.

[70] ـ ينظر: المعيار المعرب والجامع المغرب (1/ 408).
[71] ـ ينظر: المعيار المعرب والجامع المغرب (27/1).